# تفسير قوله تعالى

# (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ)


لفضيلة الشيخ العلامة

## زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى


وقد كان هذا درس الافتتاحية للدورة القرعاوية لعام ١٤٣٣هـ


قام على تحقيقه والتعليق عليه

## أبو عبد الله

## وائل بن علي بن أحمد الأثري

# تنبيه

## هذه النسخة لم تراجع من قبل شيخنا حفظه الله تعالى

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فيسرني أن أقدم للقراء الألباء في كل مكان تفسيراً لقوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ لفضيلة شيخنا العلامة الفقيه / زيد بن محمد بن هادي المدخلي – حفظه الله – والذي كان في درس افتتاحية الدورة القرعاوية يوم الجمعة الموافق ٢٥/ ٧/ ١٤٣٣هـ وقد أكرمني ربي جل وعلا بحضور الدرس مباشرة عن طريق غرفة دروس الشيخ على برنامج البيالوكس عبر شبكة الإنترنت فإنني أحد مشرفيها ، وبما أنني أُقَدِّر شيخنا الجليل وأُقَدِّر ما يخرج منه من علم غير متعصب له ولا غال فيه ؛ حرصت على تفريغ هذا الدرس فكنت أفرغ مباشرة أثناء تكلم الشيخ به ، وكنت إذا فاتني شيء أترك مسافة لأنتبه بأن هناك نقصاً ثم قمت بعد ذلك بمراجعة التفريغ وإكمال ما به من نقص عن طريق التسجيل ، ثم قمت بالعمل على تحقيق كلمة شيخنا وإعدادها للنشر لتخرج بصورة يرتضيها الشيخ إن شاء الله عند رؤيته لها وكذلك بقية المسلمين ؛ فعزوت الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية ، وخرجت أحاديثها مع ذكر مرتبة كل حديث من حيث الصحة والضعف ، وعلقت بما أراه نافعاً ومفيداً ، والله أسأل أن ينفع بها محققها وشيخنا الحبيب وجميع المسلمين في كل مكان وزمان ، هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

السبت : ٣ / شعبان / ١٤٣٣هـ

# تفسير قوله تعالى
# ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ؛ اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ،،، أما بعد :

فقد سمعتم من مدير المكتب التعاوني الشيخ محمد بن زيد المدخلي[١] الشرح المفصل المختصر[٢] عن أنشطة المكتب والدعوة إلى الله عز وجل الذي وضع من أجل القيام بها والعناية وضع هذا المكتب بل وغيره من المرافق التي ينشر فيها العلم بطريقة رسمية وبطريقة تعاونية وهي متضافرة[٣] بعضها يشد بعضاً ويأخذ ببعض ، فإن كان لي من إضافة فإنني أولاً : أهنئ القائمين على الدعوة في المكتب التعاوني للتوعية والإرشاد في محافظة صامطة المدير والأعضاء ومن معهم من طلاب العلم المتعاونين في متابعة الأنشطة والقيام بالخدمة لضيوف المكتب أهنئهم وأسأل الله أن يكتب لنا ولهم الأجر الوفير والخير الكثير فإنهم محتسبون جميعاً فقد بذلوا جهوداً يشكرون عليها[٤] وأجرهم في

---

[1] - هو ابن شيخنا – حفظه الله – فقد قام بإلقاء كلمة مختصرة قبل والده الكريم تقع في نحو عشر دقائق تقريباً تحدث فيها عن الدورات القرعاوية وأهميتها وفائدتها .

[2] - أي الشرح الواضح وفي نفس الوقت مختصراً لم يطنب فيه وهذا من الفصاحة في القول .

[3] - أي متعاونة .

[4] - شكر الناس على ما يبذلون من خير وأعمال طيبة ؛ هو من شكر الله تعالى ؛ وذلك لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح :" لا يشكر الله من لا يشكر الناس " رواه أحمد ( ٩٠١١ ) وأبو داود ( ٤٨١١ ) وصححه الألباني وكذا في الصحيحة ( ٤١٦ ) وصحيح الجامع ( ٧٧١٩ ) ورواه الترمذي ( ١٩٥٤ ) بلفظ ( من لا يشكر الناس لا يشكر الله )

القيام بها على الله تبارك وتعالى ، وأشكر القائمين بالقيام على الدورات في القرى(٥) ؛ والقرى أصبحت مدن(٦) بالدروس والتوجيهات للناس وترغيبهم في العلم ، تحذيرهم من الجهل وليس هذا مقصوراً على الدورة المحدودة بزمن(٧) وإنما الكثير على سبيل الاستمرار ينشرون العلم ويدرسون في المساجد ويعقدون المحاضرات والندوات بقدر ما يستطيعون وهذه الحقيقة رسالة طالب العلم أن يسعى في تحصيل العلم لنفسه وينشر العلم أولاً بأول(٨) ويزداد من العلم ويخطط التخطيط السليم الزمني للاستفادة والإفادة(٩) فما يتعلم العلم إلا لإزالة الجهل والعمل به بالعلم ودعوة الناس إليه

---

وصححه الألباني ؛ ورواه أيضاً بلفظ آخر ( ١٩٥٥ ) : ( من لم يشكر الناس لم يشكر الله ) وقال الألباني : صحيح بما قبله . ولا شك أن هذه صفة طيبة من صفات أهل الخير والصلاح .

5 - القرى جمع قرية ، والقرية هي مكان يتجمع الناس يتكون من عدة عائلات أو قبائل ، وقيل أن عددهم ما بين المئة والعشرة آلاف ؛ والله أعلم .

6 - كذا قال والصواب : مدناً .

7 - كما هو الشأن مع الدورة القرعاوية تكون مرة واحدة في العام ؛ ولكن الدروس تظل مستمرة طيلة أيام العام .

8 - وهذا من ثمرات العلم النافع أن يطلب المرء العلم فيعمل به ويعلم غيره ليرفع بذلك الجهل عن نفسه وعن غيره من المسلمين كما قال الإمام أحمد : ( العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته ) ويذكر عنه أنه قيل له : ( وكيف تصح النية يا أبا عبد الله ؟ فقال : ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره ) .

9 - وذلك بالتدرج في طلب العلم بأن يقرأ شيئاً فشيئاً فيأخذ من كل علم أصوله ولا ينتقل من مرحلة حتى ينتهي من المرحلة التي قبلها ولذلك قال بعض السلف ( من رام العلم جملة ذهب عنه جملة ) وقال بعض الشعراء :

قدِّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زلجا

فإذا ما خطط طالب العلم التخطيط السليم وتدرج في الطلب فإنه يستفيد فائدة قصوى من حيث اغتنام الوقت واختصار الجهد ؛ حيث إنه إذا لم يتدرج في الطلب فإنه يضيع وقته وجهده .

وأما من حيث التصدر لتعليم الناس فينبغي لطالب العلم أن يحرص أولاً أن يعد نفسه إعداداً جيداً حتى يكون متمكناً وبصيراً بعقيدة السلف وعلوم الشريعة وشبه المغرضين من أهل البدع والأهواء

واعتباره من أجمل العبادات وأفضل العبادات التي يتقرب بها المسلم والمسلمة إلى الله تبارك وتعالى(١٠) .

وأشكر الوافدين الذين رحلوا من أجل طلب العلم وتحصيله بنية صادقة ليعودوا ناشرين للعلم محتسبين الأجر من الله عز وجل(١١) إذ الأجر بالحسبة فمن خرج من داره طالباً للعلم ليعمل به ويدعوا الناس إليه أينما حل وأينما ارتحل فأسوته الرسل الكرام والأنبياء العظام(١٢) ، وما أرسل الله المرسلين إلا ليعلموا الناس أمر دينهم ؛ العقيدة الصحيحة والشعائر التعبدية على الوجه الصحيح والأخلاق والسلوك

---

ودحضها ، ولا ينبغي له أن يتعجل التصدر فإن التصدر قبل إعداد نفسه الإعداد الجيد فيه هلاك نفسه وحرمانه من الخير الكثير الذي كان سيحصله لو استمر في طلب العلم حتى يتمكن ، ولذلك قال بعض السلف ( إذا تصدر الحدث فاته علم كثير ) وقالوا أيضاً : ( من حدث قبل حينه افتضح في حينه ) لأنه سيواجه أسئلة وشبهاً ليست عنده جوابها فيفتضح أمره أمام الناس بأنه قليل البضاعة ، وقد تأخذه العزة بالإثم فيستحيي من أن يسأل ولا يجيب فيجيب بغير علم فيضل ويضل عياذاً بالله تعالى ، وقال بعض السلف أيضاً ( من تصدر المجالس فإنه يأنف أن يعود للحلقات ) لأنه غالباً يستكبر ويستحيي أن يعود طالباً بعد أن صار شيخاً أمام الناس فيرضى بالجهل ويحرم العلم فإن السلف قالوا ( لا يتعلم اثنان مستحيي أو مستكبر ) .

10 - وذلك لأن بالعلم الشرعي يصحح العبد عقيدته وعبادته وبدون ذلك يتخبط خبط عشواء على متن عرجاء في ليلة ظلماء في البدع والأهواء فيكون من أهل الضلال عياذاً بالله تعالى .

11 - الرحلة في طلب العلم سنة السلف الأول والتابعين لهم من أهل العلم ، فجدير بمن قدر على ذلك من طلبة العلم ألا يتوانى عن الرحلة إلى أهل العلم الثقاة الأثبات العدول السائرين على منهج السلف الكرام ، وليبتعد ويحذر الرحلة إلى شيوخ أهل البدع والأهواء فإن هؤلاء يفسدون عليه دينه ودنياه عياذاً بالله .

12 - الدعوة إلى الله تعالى لها فضل عظيم لذا فقد حث النبي – صلى الله عليه وسلم – عليها في قوله كما في صحيح البخاري ( ٣٤٦١ ) :" بلغوا عني ولو آية " ؛ ومن جملة فضائلها قوله في صحيح مسلم ( ١٨٩٣ ) :" من دل على خير فله مثل أجر فاعله " .

والتحذير من المخالفات في الأقوال والأفعال والأعمال[13] لذا قال الله تعالى لنبيه - عليه الصلاة والسلام - ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[14] أمر الله عز وجل[15] نبيه محمداً – صلى الله

[13] - قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ) ولا شك أن هذا أهم ما يقوم به الداعية إلى الله تبارك وتعالى فيعلم الناس العقيدة الصحيحة ويحذرهم من الشرك ووسائله ؛ ويعلمهم كيفية العبادة الصحيحة فيعلمهم ما يصححون به عقيدتهم وعبادتهم لله تبارك وتعالى ، وكذلك يحذرهم من كل قول وفعل رديء يأثم المرء به . ولا شك أن هذا يحتاج من الداعية أن يعد نفسه أولاً إعداداً جيداً حتى يقوم بهذه المهمة إذ فاقد الشيء لا يعطيه كما هو متقرر عند العقلاء من الناس .

[14] - ( سورة يوسف آية : ١٠٨ ) . **ذكر أقوال بعض المفسرين حول هذه الآية الكريمة :**

قال شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره ( ١٦/ ٢٩١ ) طبعة دار الرسالة : ( يقول تعالى ذكره لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَذِهِ ﴾ الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاء إلى طاعته ، وترك معصيته ﴿ سَبِيلِي ﴾ وطريقتي ودعوتي ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ بذلك ، ويقينِ علمٍ مني به ﴿ أَنَا ﴾ ويدعو إليه على بصيرة أيضًا ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وصدقني وآمن بي ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ يقول له تعالى ذكره : وقل : تنزيهًا لله وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يقول : وأنا بريءٌ من أهل الشرك به ، لست منهم ولا هم منّي.)اهـ

وقال البغوي في تفسيره ( ٤/ ٢٨٤ ) طبعة دار طيبة : ( ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَذِهِ ﴾ الدعوة التي أدعُو إليها والطريقة التي أنا عليها ﴿ سَبِيلِي ﴾ سُنَّتي ومنهاجي. وقال مقاتل: ديني، نظيره قوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي : إلى دينه ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ على يقين . والبصيرة : هي المعرفة التي تُمَيِّزُ بها بين الحق والباطل ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي : ومن آمن بي وصدقني أيضاً يدعو إلى الله . هذا قول الكلبي وابن زيد ، قالوا : حقٌّ على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه ، ويذكِّر بالقرآن . وقيل: تَمَّ الكلام عند قوله ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ ثم استأنف ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ يقول : إني على بصيرة من ربي وكل من اتبعني . قال ابن عباس : يعني أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية ، معدن العلم ، وكنز الإيمان وجند الرحمن .)اهـ

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٤٢٢ ) طبعة دار طيبة : ( يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين : الإنس والجن ، آمراً له أن يخبر الناس : أن هذه سبيله ، أي طريقه ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك ، ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه ، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي . وقوله ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ أي : وأنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه ، عن أن يكون له شريك أو نظير ، أو عديل أو نديد ، أو ولد أو والد أو صاحبة ، أو وزير أو مشير ، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن ذلك كله علواً كبيراً )اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره ( صفحة : ٤٦٠ - ٤٦١ ) طبعة دار ابن الجوزي : ( يقول تعالى لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿ قُلْ ﴾ للناس ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي : طريقي التي أدعو إليها ، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته ، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره ، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ أي : أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم ، وأرغِّبهم في ذلك وأرهِّبهم مما يبعدهم عنه ، ومع هذا فأنا ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ من ديني ، أي : على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية . وكذلك ﴿ مَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره . ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله أو ينافي كماله ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ في جميع أموري ، بل أعبد الله مخلصاً له الدين )اهـ

وقال الشيخ الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ( ٢/ ٢٠٦ ) طبعة دار عالم الفوائد : ( فدل على أن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة ، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه ، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة ، وحسن الأسلوب ، واللطافة مع إيضاح الحق . لقوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ الآية ، فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وخرق ، فإنها تضر أكثر مما تنفع ، فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسناداً مطلقاً إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس ؛ لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل وأتباعهم وهو مستلزم للأذى من الناس ؛ لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة ، وأغراضهم الباطلة )اهـ

[15] - أي في هذه الآية الكريمة .

عليه وسلم – أن يقول للأمة جمعاء ؛ قل يا محمد للناس بل لعالم الإنس والجن[١٦] ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أي طلب العلم والاستماع له[١٧] والعمل به[١٨] ونشره في الناس[١٩] ، إذ لا حياة طيبة مباركة إلا في ظل العلم الشرعي[٢٠] لا حياة للمكلفين من عالم الإنس والجن إلا أن يكونوا عالمين بما أنزل الله عز وجل من أصول هذا الدين وفروعه وحقوقه وعاملين به مغتبطين بذلك وناشرين له لأن هذا العمل هو التأسي بالرسل والأنبياء الذين بعثهم الله معلمين مبشرين ومنذرين كما أخبر الله عز وجل عنهم بذلك ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٢١] وانتهت

---

16 - لأن رسالته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس .

17 - وذلك عن طريق العلماء الثقاة الأثبات كما تقدم وليس أهل البدع والأهواء فإن أهل البدع والأهواء لا يستمع لهم ولا كرامة ولا تقرأ كتبهم ولا تشترى ولا تقتنى لأنهم يبثون أفكارهم الباطلة فيها . فمن رام الحق اجتنب ذلك وعض بالنواجذ على علماء السلف وكتب السلف فإن الخير فيهم وفيما كتبوا ، ولم يتركوا شيئاً حتى تكون الحاجة لأهل البدع ! وإنما المصيبة في ضعف الهمم وخساستها ، وصدق القائل :

وكل خير في اتباع من سلف          وكل شر في ابتداع من خلف

18 - لأن هذا هو الغاية من العلم فإنه وسيلة يتبلغ بها للعمل ، ولذلك قال بعض السلف ( العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ) اهـ

19 - نشر العلم بين الناس من علامة صحة طلبه كما تقدم عن الإمام أحمد أنه قال ( العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته . قالوا وكيف تصح النية يا أبا عبد الله ؟ قال ينوي رفع الجهل عن نفسه وغيره من الناس )اهـ

20 - نعم صحيح ؛ العلم الشرعي هو حياة المؤمن وبدونه فالمرء يعتبر فاقداً للحياة ، ولله در القائل :

ليس من مات فاستراح بميت          إنما الميت ميت الأحياء

فمن لم يطلب العلم ويتفقه فيه فهو كالأموات لا فائدة من حياته ويعيش متخبطاً هنا وهناك لأنه لا يهتدي للحق الذي ينبغي أن يسير عليه .

21 - ( سورة النساء آية : ١٦٥ ) .

الرسالات وختمت برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم –[٢٢] ومن بقي لهذا العلم بقي لحفظ العلم ونشره طلاب العلم الذين يطلبونه ويعتبرونه من أهم أعمالهم التي يحرصون على إنجازها لما فيها من التأسي بالرسل[٢٣] والصالحين من الدعاة إلى الله عز وجل في كل زمان ومكان ، فبقي أهل العلم الذين هم ورثة لما أنزله الله عز وجل على محمد – صلى الله عليه وسلم – ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن الكريم وذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك في السنة المطهرة قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[٢٤] فهذه الثلاثة الأقسام هم ورثة الكتاب العزيز ؛

---

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٢ / ٤٧٥ ) : ( أي : أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة ، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ وكذا قوله تعالى ﴿ وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود - رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين " وفي لفظ :" من أجل ذلك أرسل رسله ، وأنزل كتبه " )اهـ قلت : أخرجه البخاري في صحيحه برقم ( ٤٦٣٤ ) ومسلم ( ٢٧٦٠ ) .

22 - دل على ذلك قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ وفي الحديث المتفق عليه أنه – صلى الله عليه وسلم – قال :" لا نبي بعدي " رواه البخاري ( ٣٤٥٥ ) ومسلم ( ١٨٤٢ ) .

23 - وعلى رأسهم نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ .

24 - ( سورة فاطر آية : ٣٢ ) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٦ / ٥٤٦ ) : ( يقول تعالى : ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم ، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا ، وهم هذه الأمة ، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ وهو : المفرط في فعل

الفرقان من فاتحته إلى خاتمته فمن حرص على أخذ حظه ونصيبه من هذا الميراث السمين فاز وسعد وأحياه الله حياة طيبة في الدنيا والبرزخ والآخرة ، ومن أضاع نصيبه وحظه وأخذ يلهث وراء حطام الدنيا جاهلاً بأمر دينه فلا يلومن إلا نفسه كما قال الله تعالى في الحديث القدسي :" إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه "[٢٥] .

وأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن العلماء الذين طلبوا العلم وحرصوا على أخذ نصيبهم لأنه ميراثهم بقوله عليه الصلاة والسلام :" إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر "[٢٦] وبدون العلم لا يسعد الإنسان لا في دنياه لا في حياته البرزخية ولا الأخروية[٢٧] .

---

بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات ﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ وهو : المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات . ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وهو : الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات )اهـ

25 - صحيح : رواه مسلم ( ٢٥٧٧ ) .

26 - صحيح : رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وغيرهم من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول :" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ". وصححه الألباني في المواضع السابقة وفي صحيح الجامع ( ٦٢٩٧ ) وقال في المشكاة (٢١٢): حسن. وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠): حسن لغيره .

27 - لأن السعادة تنتج عن طريق السير الصحيح على منهج الحق وبدون العلم الشرعي القائم على منهج السلف فإن المرء يتخبط تخبطاً عجيباً وشديداً ومن ثم يقع في المخالفات والموبقات فلا يسعد في دنياه لتخبطه وعدم شعوره بالطمأنينة وراحة البال ولا يسعد في حياته البرزخية والأخروية لأنه يلاقي ما قدم من موبقات ومهلكات .

والعلم نوعان فرض عين وفرض كفاية ، فالطالب للنوعين هو أفضل من يمشي على وجه الأرض[٢٨] ، طلب العلم الواجب الذي هو فرض عين ويكاد ينحصر في مراتب الدين الإسلامي الثلاثة الإسلام بأركانه الخمسة والإيمان بأركانه الستة والإحسان بركنه العظيم[٢٩] وما اقتضته هذه المراتب الثلاث من العلم المفصل الذي لا يستغني

---

28 - أي من سمت همته فطلب النوعين ؛ فرض العين وفرض الكفاية ولم يقتصر على تحصيل العلم الواجب عليه فقط فهو أفضل من يمشي على وجه الأرض ؛ وفي الحديث الصحيح عن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه – أنه قال : ذكر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " . رواه الترمذي ( ٢٦٨٥ ) وقال عقبه : ( حسن غريب صحيح ) وصححه الألباني في تحقيقه عليه وكذلك في صحيح الجامع ( ٤٢١٣ ) ورواه الطبراني في الكبير ( ٧٩١٢ ) وصححه الألباني في صحيح الجامع أيضاً ( ١٨٣٨ ) .

29 - دل على ذلك حديث جبريل عليه السلام لما أتى النبي في صورة رجل والحديث في الصحيحين عن أبي هريرة وفي مسلم بأتم منه عن عمر بن الخطاب وهذا نصه :" بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » . قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ " .

عنه مكلف لا من عالم الإنس ولا من عالم الجن فهذا فرض العين من حققه ظفر وأحسن ظفراً منه من توسع في العلم فحقق فرض العين وما تيسر له من فروض الكفاية كالإفتاء والقضاء والدعوة والجهاد بالعلم الدائم وهذا لا يستطيعه إلا من واصل التعليم[٣٠] ومذاكرة ومسائلة العلماء[٣١] ووضع المكتبة المترلية في البيت[٣٢] يستطيع أن يكون عالماً ومعلماً ويكون قد أخذ حقه من هذا الميراث الذي هو ميراث أهل العلم[٣٣] ورثوه عن نبيهم محمد – صلى الله عليه وسلم – لذا قال الله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي قل يا محمد هذه سبيلي أي حفظ العلم والعمل بالعلم والدعوة إلى العلم ونشره هي[٣٤] السبيل والطريق الذي سلكه نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – قال ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ فكل من اتبع النبي – صلى الله عليه وسلم – فطلب العلم الشرعي من الكتاب والسنة وما استمد من الكتاب والسنة مما فيه البيان لما في الكتاب

---

30 - أي جاهد نفسه في طلب العلم وسهر الليالي على ذلك ، وقد قال يحي بن أبي كثير ( لا يستطاع العلم براحة الجسم ) وقال بعض السلف ( بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى ) وقال بعض الشعراء :

والمجد لا يشرى بقول كاذب　　　إن كنت تبغي المجد يوماً فانصب

وقال بعضهم أيضاً :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله　　　لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

31 - وذلك من خلال الدروس العلمية سواء كانت خاصة أو عامة وعرض الأسئلة عليهم لمعرفة الحق والراجح والمرجوح من كلام أهل العلم .

32 - أي وضع المكتبة المترلية القائمة على منهج السلف وتفنيد كلام أهل البدع والأهواء ، وحري بالمرء في بداية الأمر أن يستشير أهل العلم فيما يشتريه ليضعه في مكتبته حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه فيشتري كتباً لأهل البدع والضلال ويتتلمذ عليها من حيث لا يدري وهو يظنها أنها الحق ! فيسأل أهل العلم الثقات لأنهم على بصيرة بهذا الأمور وما خاب ولا ندم من استشار الثقات من أهل العلم السائرين على منهج السلف الصالح .

33 - أي من واصل التعليم ومذاكرة ومسائلة العلماء وإعداد المكتبة المترلية والنظر في كلام أهل العلم يستطيع بتوفيق الله تبارك وتعالى له أن يكون من العلماء ومن المعلمين للناس الخير .

34 - كذا قال ؛ والصواب هو .

والسنة من كتب التفسير المعتبرة السليمة وكتب الحديث وكتب الفقه وكتب السير الصحيحة هذه مصادر للعلم الشرعي يطلب منها العلم ويؤخذ منها ويؤخذ عمن حققها وكتبها ونشرها ، فمن سعى في التحصيل والنشر فهو من أتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – تحصيل العلم للعمل به والدعوة إليه احتساباً لوجه الله تبارك وتعالى ، ويعتبر رحمة كل داعية إلى الكتاب والسنة بالفهم الصحيح فهو رحمة على الناس لأنه يأمرهم وينهاهم يأمرهم بما أمر الله عز وجل وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام وفي امتثال الأوامر من الخير الكثير والجزاء الأوفى عند الله عز وجل واجتناب النواهي كذلك إجلالاً لله وخوفاً من عقوباته التي تترتب على فعل المآثم والمحارم والمنكرات أقوالها وأفعالها فإذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام بين الله بأنهم رحمة للأمة فالعلماء في كل زمان ومكان رحمة للأمة إذا قاموا بالحق الذي واجب عليهم لأن الله أخذ الميثاق على العلماء أن يعلموا ولا يستطيع أن يعلم الإنسان إلا بعد أن يعلم قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[٣٥] فأمر الله بالبيان ونهى عن الكتمان[٣٦] ، والبيان لابد أن يكون بالفهم الصحيح[٣٧] ، والفهم

---

[35] - ( سورة آل عمران آية : ١٨٧ ) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٢ / ١٨٠-١٨١ ) : ( هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب ، الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم .
وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ".)اهـ

[36] - وذلك في قوله تعالى ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ فمن كتم علماً نافعاً عن الناس وهم يحتاجون إليه فقد عصى الله رب العالمين ومن عصى رب العالمين كان مستحقاً للعقوبة ، وهناك وعيد شديد كذلك ورد في السنة النبوية لمن كتم علماً نافعاً يحتاج الناس إليه فقد صح عن النبي

الصحيح لا يحصل لأحد إلا بالتعلم من أهل العلم الأصاغر عن الأكابر[٣٨] وقليل العلم يأخذ عن كثير العلم[٣٩] كما هو معروف لدى العقلاء من الناس أن العلم بالتعلم[٤٠] ولا يكفي أن يقرأ الكتاب بل لابد من أخذ العلم على معلم[٤١] والكتب

– صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار " رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ( ٣٩٩ نسخة نعيم بن حماد ) وأحمد ( ١٠٤٢٠ ) وابن أبي شيبة ( ٢٦٤٥٣ ) وأبو داود ( ٣٦٥٨ ) والترمذي ( ٢٦٤٩ ) وابن ماجه ( ٢٦٤ ) وابن حبان ( ٩٥ ، ٩٦ ) والطبراني في الكبير ( ٨٢٥١ ، ١٠٠٨٩ ) وفي الأوسط ( ٣٣٢٢ ) والصغير ( ١٦٠، ٣١٥ ، ٤٥٢ ) والحاكم في المستدرك ( ٣٤٤ ) وقال : ( وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه )اهـ ووافقه الذهبي . ورواه القضاعي في مسند الشهاب ( ٤٣٣ ) وأبو نعيم في معرفة الصحابة ( ٣٩٦٩ ) وصححه الألباني في المشكاة ( ٢٢٣ ) وقال : ( وقد أعل بالانقطاع وليس بشيء )اهـ

37 - والفهم الصحيح هو الموافق لما كان عليه أئمة السلف الصالح والسائرون على نهجهم من بعدهم ، وأما فهم من عداهم فهو فهم رديء وفاسد لا ينبغي أن يصار إليه ولا يعمل به إذ كل خير في اتباع من سلف كما قال القائل :

وكل خير في اتباع من سلف     وكل شر في ابتداع من خلف

فمن رام العمل بالفهم الرديء وترك ما عليه السلف الكرام ضل وشقي في الدنيا والآخرة عياذاً بالله تعالى .

38 - نعم صحيح يستفيد طالب العلم الصغير من العالم الكبير لأنه أسبق منه في الطلب .

39 - لأنه إما لكونه سبقه في الطلب فاطلع على ما لم يطلع عليه وإما لعلو همته فقد يكون الصغير ذا همة عالية فيفوق من هو أكبر منه سناً ويتقدم عليه في العلم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

40 - وذلك لحديث :" إنما العلم بالتعلم " رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم في كتاب العلم ( باب العلم قبل القول والعمل ...) وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح ( ١/ ١٦١ ) طبعة دار الفكر ، ورواه أبو خيثمة في كتاب العلم ( ١١٤ ) والطبراني في الكبير ( ١٩/ ٣٩٥ ح ٩٢٩ ) وفي الأوسط ( ٢٦٦٣ ) وفي مسند الشاميين ( ٧٥٨ ، ٢١٠٣ ) والخطيب في الفقيه والمتفقه ( ١٢ ) وأبو نعيم في الحلية ( ٥/ ١٧٤ ) وابن عبد البر في جامع بيان العلم ( ٩٠٣ )

من الوسائل التي تعين الإنسان على التوسع في العلوم الشرعية لذا جاء هـذا الأمـر الكريم من الله تبارك وتعالى للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولأتباعه ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ أي علم ويقين لاشك فيه[٤٢] ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وهذا عام في كل أتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام من يوم بعثته إلى أن تقوم السـاعة كلهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام فمن أخذ طريقه فقد اتبعه ، ومن أعرض عنـها هلك .

في معنى هذه الآية الكريمة قول الله نبارك وتعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤٣] وقـد

---

والبيهقي في شعب الإيمان ( ١٠٢٥٤ ) وصححه الألباني في تحقيقه على كتاب العلم لأبي خيثمة وحسنه في الصحيحة ( ٣٤٢ ) وفي صحيح الجامع ( ٢٣٢٨ ) .

فعلى طال العلم أن يقبل إقبالاً كلياً على تعلم العلم الشرعي ويجد ويجتهد في تحصيله فإنه بـاب عظيم وقد قال بعض السلف الصالح ( العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ) فمن أخلص لله وبذل الجهود في تعلم العلم العلم فهو الموفق والسعيد بنيله ورضا الله تبارك وتعالى وحاز الأجر في الدنيا والآخرة .

41 - نعم صحيح لا ينبغي لطالب العلم أن يستقل بالكتب عن العلماء في بداية طلبه للعلم فإنـه متى استقل بالكتب عن العلماء فسر الأدلة بفهمه القاصر فيضل عن الطريق الصحيح لذا حـذر السلف قديماً من التشيخ على الكتب فقالوا :

- من البلية تشيخ الصحفية .
- من كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه .
- من دخل في العلم وحده خرج من منه وحده .
- من دخل في العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم .

وغير ذلك من كلامهم ، فالواجب على الطالب أن يلزم غرز العلماء ويفقه الأدلة منـهم علـى وجهها الصحيح حتى لا يفهم الأدلة فهماً مغلوطاً ومن ثم يدعوا الناس لذاك الفهم المغلوط فيفسد أكثر مما يصلح وهو لا يدري .

42 - أي المراد بالبصيرة : علم ويقين لاشك فيه .

43 - ( سورة الأنعام آية : ١٥٣ ) .

فسرها النبي – صلى الله عليه وسلم – بالقول والفعل ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ هذا الإسلام الذي جاء به القرآن والسنة هو الصراط أي الطريق الموصل إلى رضا الله ودار كرامته مستقيم لا عوج فيه من سلكه أوصله إلى دار الكرامة يعيش في الدنيا في ظله عالماً به ، عاملاً بمقتضاه ، داعياً إليه ، ويقدم على الله تبارك وتعالى فيثبته على الصراط الحسي ويكون فيما أعده الله عز وجل في أهل اتباع الصراط المستقيم ، فخط النبي – صلى الله عليه وسلم – خطاً مستقيماً وخط بجانبه عن يمينه وشماله خطوطاً فقال : هذا سبيل الله وضع يده على الخط الأوسط وقال هذا سبيل الله ، وقال عن الخطوط التي عن يمينه وشماله : وهذه خطوط على كل واحد منها شيطان يدعوا إليها "[٤٤] فالمراد أن من انحرف عن الصراط المستقيم إلى الكفر والبدع المضلة والأهواء فقد ترك الصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى دار كرامته وعدل استجابة لشياطين الإنس والجن إلى الخطوط المنحرفة التي تدعوا إليها شياطين الإنس والجن .

والحمد لله بين الله لنا في القرآن كل ما تحتاج إليه البشرية بل عالم الإنس والجن[٤٥] ؛ من طلب ذلك وجده وبين النبي – صلى الله عليه وسلم – في سنته أكمل بيان للأمة

---

44 - صحيح : رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ( ٢٤١ ) وأحمد ( ٤١٤٢ ، ٤٤٣٧ ) والنسائي في الكبرى ( ١١١٠٩ ) وابن ماجه ( ١١ ) وصححه الألباني ، والدارمي ( ٢٠٨ ) وابن أبي عاصم في السنة ( ١٦ ) ورواه ابن حبان ( ٦ ) والبزار ( ١٦٧٧ ) والمسند للشاشي ( ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ) وابن بطة في الإبانة الكبرى ( ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ) وأبونعيم في الحلية ( ٦/ ٢٦٣ ) والحاكم ( ٢٩٣٨ ) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الألباني في التعليقات الحسان : حسن صحيح ، وكذلك صححه في ظلال الجنة ( ١٦ ) .

45 - وهذا يدل على كمال الشريعة الإسلامية وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وفي صحيح مسلم ( ١٨٤٤ ) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم " وصح عنه أيضاً أنه قال :" والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار

لألا تضل وتعدل عن الصراط المستقيم تضافرت نصوص الكتاب والسنة على دعوة الخلق إلى سلوك الصراط المستقيم والحذر كل الحذر من الطرق المعوجة التي تخالف الصراط المستقيم ؛ طرق أهل الشرك وأهل الكفر وأهل البدع المضلة وأهل التحزبات المقيتة وأهل المجاهرة بالمعاصي ، لأن التمسك بالصراط المستقيم فيه رضا الله تبارك وتعالى وفيه سعادة العبد في دنياه وبرزخه وأخراه ، وما حياة العمل إلا حياة قصيرة[٤٦] من استثمرها فيما يصلح شأن دينه بالدرجة الأولى وشأن دنياه التي هي وسيلة من الوسائل يستعين بها على هذا الأمر المهم ليعبد الله عالماً بحقه ، ما لكم من الحقوق علينا محتسباً مخلصاً في ذلك يرجوا رحمت الله ويخشى عقوبته .

والحمد لله أنتم أيها الحاضرون[٤٧] من طلاب العلم يجب أن نخلص في الطلب[٤٨] وأن يكون القصد حسناً والنية خالصة في الطلب فيكتب الله عز وجل لنا ولكم الأجر العظيم والرحمة ؛ ننوي العمل بما علمنا ونشر ما علمنا فنكون قد حققنا ما يجب علينا وما يكون في ميزان الحسنات فأشرف الأعمال وأجلها كما ذكرت آنفاً طلب العلم ونشر العلم والإخلاص فيه ابتغاء مرضاة الله فمن فعل ذلك فهو من أتباع النبي –

ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه " راجع الكتب التالية للألباني : الصحيحة ( ١٨٠٣ ) ، وتحريم آلات الطرب ( ص : ١٧٦ ) وحجة النبي ( ص : ١٠٣ ) .

46 - وذلك لأن الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة كما قال تعالى ( وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ٢٠/ ٦٠ ) : ( وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها )اهـ وقال ابن كثير في تفسيره ( ٦/ ٢٩٤ ) : ( أي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد )اهـ.

47 - أي الحاضرين للدورة القرعاوية للاستفادة منها .

48 - الإخلاص أمر لابد منه في طلب العلم وغيره فمن لم يخلص لله في عمله رجع وبال ذلك عليه ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ ولحديث :" إنما الأعمال بالنيات " متفق عليه ؛ رواه البخاري ( ١ ، ٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣ ) ومسلم ( ١٩٠٧ ) .

صلى الله عليه وسلم – الذين قال فيهم ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وحياكم الله وإذا ابتدأت دروس الدورة تتضافر الجهود ونهتم بها وما هي[٤٩] إلا وقت قصير[٥٠] يجتمع فيه طلبة العلم ويستفيد بعضهم من بعض ويعزمون على أن تكون بقية الحياة طلباً للعلم ونشراً له مع القيام بشؤونهم التي لا غنى لهم عنها من المأكل والمشرب[٥١] ونحو ذلك مما يحتاج إليه المسلم ، وفقنا الله وإياكم لما فيه رضاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٥٢] .

õ õ õ

49 - أي الدورة القرعاوية .

50 - لأن مدتها أسبوعان فقط .

51 - وقد قال الإمام أحمد – رحمه الله – : الناس يحتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب .

52 - وهذا آخر ما تفضل به شيخنا – حفظه الله – في درسه وبذلك تنتهي تعليقات العبد الفقير على هذا السفر النافع فجزى الله شيخنا على ما تفضل به من علم خير الجزاء ووفقه لما يحب ويرضى ، ونسأل الله أن يطيل عمره ويحسن عمله وينفع به جميع المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .